مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد 02 - العدد 02 - (2021)
الصفحات: من 32 إلى 44

القبائل المتعاونة مع الاحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر (المشرفي والشقراني أنموذجا)

Tribes collaborating with the Spanish occupation through the writings of muaskar (Al-Mashrafi and Al-Shograni as a model)

درعي فاطمة*

جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر

Fatima.drai@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2021/07/31 تاريخ القبول: 2021/08/27 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

مع بداية القرن السادس عشر الميلادي شهدت سواحل الجزائر عدة تحرشات واعتداءات إسبانية بغرض التوسّع مستغلة اضطراب الأوضاع في المنطقة، وتمكّن الإسبان من السيطرة على وهران والمرسى الكبير لغاية التحرير النهائي لهما سنة 1792م، وقد اتخذت القبائل المتواجدة على مستوى بايلك الغرب مواقف متباينة من الإسبان منها الرافض لأي شكل من أشكال التعاون مع الإسبان، ومنها التي تعاملت وتعاونت معهم لأسباب مختلفة خاصة وأن الإسبان كانوا قد فرضوا سيطرتهم على مواقع هامة في منطقة وهران وعملوا على استمالة هذه القبائل مستغلين ظروفها، وتمكّنوا من تحقيق أهدافهم بتعاون قبائل بني عامر معهم.

تعاون قبائل بني عامر مع الإسبان أثار السلطة العثمانية ضدهم وباقي القبائل الرافضة لهذا الاحتلال ولأي شكل من أشكال التعاون معه، كما رد بعض المؤرخين الذين عايشوا الفترة ردا قويا على موقف تلك القبائل ومنهم عبد القادر المشرفي وأحمد بن عبد الرحمن الشقراني والذي وصل إلى درجة إصدار أحكام شرعية ضدهم.

الكلمات المفتاحية: قبائل متعاونة؛ إسبانيا؛ عبد القادر المشرفي؛ الشقراني؛ الجزائر.

Abstract:

With the beginning of the sixteenth century AD, the coasts of Algeria witnessed several Spanish harassment and attacks for the purpose of expansion, taking advantage of the turmoil of the situation in the region, and the Spaniards were able to control Oran and the Great Marina until the final liberation of them in 1792 AD. For any form of cooperation with the Spaniards, including those that dealt and cooperated with them for various reasons, especially since the Spaniards had imposed their control over important sites in the Oran region and worked to win over these tribes, taking advantage of their circumstances, and were able to achieve their goals with the cooperation of the Bani Amer tribes with them. The cooperation of the Bani Amer tribes with the Spaniards raised the Ottoman authority against them and the rest of the tribes rejecting this occupation and any form of cooperation with it. legitimacy against them

Keywords: *Collaborating tribes; Spain; Abdul Qadir Al-Mashrafi; Alshograni; Algeria.*

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

خلق الوجود الإسباني ببايلك الغرب تمييزا بين القبائل حسب طبيعة علاقة هذه الأخيرة بالإسبان والتي تعود جذورها إلى سنة 1505م تاريخ الإحتلال الإسباني للمرسى الكبير عندما فتح الإسبان سوقا تجاريا بجوار المدينة المحتلة من أجل تزويدهم بما يحتاجونه من المحاصيل الزراعية والحيوانية مقابل ما كان عند الإسبان من الذهب والفضة، وبعد إحتلال وهران زاد إهتمام الإسبان بكسب ود العرب القاطنين حول المدينة والتوسع في هذا النطاق وبذلوا لذلك الكثير مما أدى ببعض القبائل إلى إعلان ولائها للإسبان،وكان شيخ بني عامر عبد الرحمن بن رضوان أول من انضم إلى الإسبان بعد تأكده من هزيمة العثمانيين واستمر التحالف بين بني عامر والإسبان مدة طويلة.

الموقف الذي تبنّته هذه القبائل من الإحتلال الإسباني وتقرّبها منه على حساب باقي القبائل والسلطة العثمانية كان مرفوضا وظهر ذلك من خلال مواقف العديد من المؤرخين الذين عاشوا الفترة وكتبوا عنهم ومن بينهم المؤرخين عبد القادر المشرفي و الشقراني الراشدي اللذين تطرقا في مؤلفيهما إلى هذه القبائل وعلاقتها بالإسبان وهو ما سنحاول تقديمه من خلال هذه الدراسة الموسومة ب" القبائل المتعاونة مع الإحتلال الإسباني من خلال كتابات علماء معسكر (المشرفي والشقراني أنموذجا)"

وسنعتمد في ذلك على المنهجين التاريخي والمقارن للتعريف بالمؤرخين وكتاباتهما حول القبائل المتعاونة مع الإسبان، والبحث على أسباب هذا التعاون.

2. التعريف بعبد القادر المشرفي (1192 هـ/ 1778م) :

هو عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن الشيخ أحمد أبو جلال المشرفي، كان من أكابر علماء وقته إذ اشتهر بين معاصريه بالفقه والأدب والتصوّف ،تعلّم بإقليم الراشدية على علماء عصره (بوعزيز،2009: 143) ، ويعرّفه أبو راس الناصري فيقول :" ذو الرأي النيّر و الصفي والمنصب الحفي والسر الخفي السيد عبد القادر بن عبد الله المشرفي" (أبي راس الناصري،1986 :53) أخذ العلم عن شيوخه مثل أبي عبد الله محمد المنور التلمساني الذي أخذ عنه الفقه والأصول وعلم الكلام و النحو والبيان (أبي راس الناصري،1986: 53) كما أخذ على علماء المغرب ومصر مثل الشيخ محمد بن محمد بن عربي البناني المكي والشيخ محمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندري والشيخ أبي عبد الله محمد برايق (لزغم،2013: 270).

عين مدرّسا بمعهد الشيخ محي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام مدة من الزمن ، ثم أسّس لنفسه زاوية أو معهدا علميا في مسقط رأسه في الكرط أصبح في مستوى زاوية ومعهد الشيخ محي الدين (بوعزيز،2009: 143)،وقد تتلمذ عليه علماء أجلاء و منهم أبو راس الناصري الذي قال عنه : "وله من الطلبة دافة ، وأذن له أهل عصره كافة لاسيما سيرته الحميدة وعفّته و نزاهته الفريدة .....

انتفع به خلق كثير شريعة و حقيقة و برهانا و طريقة ، له دروس حسنة سليمة العبارة ، و ألطف إشارة يرفع الإيراد و يبلغ المراد" (أبي راس الناصري،1986: 53) ، وقال عنه أبو حامد العربي بن عبد القادر المشرفي في كتابه "يا قوتة النسب الوهاجة في نسب أهل مجاجة ": "كان حافظا حجة في السيرة النبوية لا يفوته فيها سؤال" .

كان يحفظ البخاري متنا وإسنادا وكذلك حصن المسلم أعلم أهل زمانه بالتاريخ و أنساب العرب العرباء وشيوخ المذهب طأطأ له العلماء الرؤوس حج و اعتمر ولقي أشياخا أخذوا عنه و أخذ عنهم و فهرسته تشهد له بذلك (الكتاني، 1982 :577). من إجازات مشايخه إجازة محمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي وعلي بن محمد الميلي ومحمد بن محمد الشعاب الأنصاري المدني و الهادي بن محمد الحسني ومحمد بن حسن الميقاتي الإسكندري المالكي ومحمد سعيد الملقب بدرويش القادري وعمر بن عبد الرسول العطار المكي و الشمس محمد بن علي الشنواني ومحمد صالح الرئيس الزمزمي المكي و مفتاح الدين بن حسام الدين البخاري و حسن بن علي القويسي و الشهاب أحمد الدواخلي الشافعي المصري و الشيخ الأمين الكبير (الكتاني،1982 :578) عرض عليه القضاء مرارا لكنه لم يقبل حسب ما ذكره تلميذه أبي راس (أبي راس الناصري، 1986: 53) رغم أنه كان يفتي للعامة من الناس والخاصة حيث يذكر تلميذه أبي راس:" يخضعون له القضاة وسائر الولاة ويهابونه ويرجعون إليه ودأبهم التعويل عليه في مهمات الدين" (أبي راس الناصري، 1986: 53) .

لم تكن له الكثير من المؤلفات حيث شغله عن التأليف قيامه بوظيفة العبادة ، ومن أشهر مؤلفاته تأليفه عن قبائل وهران وعلاقته بالإسبان وهو محل دراستنا " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان بوهران من الأعراب كبني عامر " وأيضا رسالة محمد بن علي الخروبي المعروفة ب:"الدرة الشريفة على أصول الطريقة" نظما بعنوان "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط"، وترك أيضا مجموعة رسائل إخوانية جمعت للاهتمام بالفقه والأدب (لزغم،2013: 271) .
توفي عبد القادر المشرفي سنة 1192هـ/1778م (نويهض،1980: 303).

1.2 تقديم كتاب بهجة الناظر:

يعتبر كتاب بهجة الناظر من المصادر الهامة لتاريخ الجزائر و التي تغطي فترة من الفترات الحسّاسة و المرتبطة بالإحتلال الاسباني لبايلك الغرب خلال العهد العثماني والذي تناول من خلاله الوجود الإسباني والتركيز على قبائل بايلك الغرب خاصة منها التي تعاونت مع الإسبان حيث عدّد هذه القبائل و ذكر أصولها ثم انتقل إلى الحكم الشرعي على موقف تلك القبائل وقد قسّم الكتاب إلى أربع محاور أساسية :

- **المحور الأول:** عرّف بالأسبان و تحدّث عن تاريخ إحتلال الإسبان لوهران.

- **المحور الثاني:** خصّصه للتعريف بالقبائل التي دخلت تحت سيطرة الإسبان و أصولهم و مواطنهم و أعمالهم تجاه السكان المقيمين جنوب وهران طوال فترة سيطرة الإسبان .
- **المحور الثالث:** تحدّث فيه عن علاقة قبائل بني عامر بالإسبان.
- **المحور الرابع:** خصّصه للحكم الشرعي في بني عامر الذين أعانوا الإسبان وتحدّث فيه أيضا على فتح وهران ومصير قبائل بني عامر وكل فرقة منها.

3. تعريف أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي:

لم نجد ترجمة للشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني إلا ما ذكر في الكتاب المحقّق، والذي ورد فيه أن محمد بن عبد الرحمن الراشدي ينسب إلى قبيلة شقران التي تقطن المنطقة الواقعة بين مستغانم وغريس، وأنه عاش فترة من حياته بمدينة معسكر وذلك في النصف الثاني من القرن 13هـ /19م ،وتأثر بالأحداث التي شهدتها البلاد الجزائرية في تلك الفترة والتي تميّزت خاصة بالثورات المتتالية على المستعمرين الفرنسيين، وقد ذكر عن نفسه أثناء حديثه عن فيضان وادي الحمام عام 1253هـ/1837م أنه كان آنذاك يتلقى العلم بإحدى مدارس مدينة معسكر هذه المدينة التي كانت لا تزال تحتفظ بمركزها المميّز كإحدى حواضر العلم والثقافة بالغرب الجزائري (الشقراني،2013: 3). حيث قال عن هذا الفيضان:" في سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف فاض وادي الحمام فيضة كبيرة ...أخذ فيها دوار الزمامرة ...ولم ينج من أهله إلا القليل ...وكنا نقرأ نحن وطلبتهم في المعسكر" (ميسوم،2014 : 145) .وقد مكث بمعسكر حيث تعلّم عن بعض الفقهاء بها في النصف الثاني من القرن 13هـ/19م ودفعته مطالعاته للكتب وتأثره بالأحداث التي عاشها الجزائريون إلى تأليف كتابه "القول الأوسط..".

لم يذكر في المؤلف تاريخ تأليفه، فالناسخ لم يذكره على الرغم من أنه كان حريصا على ذكر إسم الكتاب ومؤلفه إلا أن المحقّق يرجّح أن يكون في نهاية التسعينات من القرن19م، حيث يشير في مخطوطه إلى وفاة الأمير عبد القادر 1300هـ/ 1883 (الشقراني،2013: 9).

لم يذكر الكثير حول شخصية الشقراني إلا ما ذكره عنه تلميذه محمد بن يوسف الزياني في كتابه " دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" وكان ذلك في سياق حديثه عمن أخذ وهران من أزديجة وعجيسة حيث قال:" ثم اختلف في الذي أخذ من أيديهم فقال في عجائب الأسفار أخذها من أيديهم داوس بن صولات الكتامي عامل الشيعة واستعمل عليها محمد بن عون فأنت ترى كلام الشيخ الحافظ أبي راس كيف اختلف وبالتالي قال شيخنا السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن الشقراني في كتابه القول الأوسط" (الزياني،2013: 76).

ذكره في فقرة أخرى عند ذكره أنهار بلاد المغرب ونصّها :"وقال شيخنا العلامة السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن الشقراني في القول الأوسط ذكر صاحب بهجة الناظر...أن عدد أنهار الدنيا الكبار مائتان وسبعون نهر" (الزياني،2013 : 135).

يعتبر الشقراني حسب ما يظهر في كتابه أنه كان من النخبة المتعلّمة والمنسية أيضا، ولكن لا ندري من الوظائف ما الوظائف التي تولاها الشقراني وكيف عاش حياته المادية ولا العلمية (ميسوم،2014: 146).

1.3 تقديم كتاب "القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط":

تعرّض الشقراني في مؤلفه إلى عدة أحداث وقضايا متفرقة منها ما عاصره ومنها ما نقله عن غيره من المؤرخين (الشقراني،2013: 10). وقد تتبّع الأحداث بالترتيب التصاعدي حيث بدأ بالأحداث التي عايشها في القرن19م ثم ينتهي بالفتح الإسلامي في القرن7م، ويمكن تقسيم الكتاب إلى محاور حسب المواضيع التي تناولها.

أ- ثورة بوعمامة:

تناولها بشكل مختلف لا يمكن الإتفاق معه فيه فهو لا يسمي هذه الثورة ثورة أساسا ولا يعترف بمقاومة الشيخ بوعمامة حيث يقول أن هذه المقاومة عمل شخصي صادر عن الطمع في السيادة والرئاسة، وتمادى في تهجمه عليه بوصفه بالجهل والسفه واعتبره يساهم في زيادة النفوذ الفرنسي، والغريب أنه قال أنه لا جدوى من الثورة مستدلا في ذلك بفشل بعض الإنتفاضات ودعى صراحة إلى الإستسلام للأمر الواقع وانتظار الفرج من الله القادر على تغيير الأحوال وتبدل الأوضاع (الشقراني،2013: 28).

ب- الأمير عبد القادر:

تناول الشقراني مقاومة الأمير عبد القادر (الشقراني،2013: 33) حيث أشاد بشخصية الأمير عبد القادر وظروف بيعته، كما تناول المعارك التي خاضها الأمير وقدرته على الوقوف في وجه المستعمر الغاشم، وهنا يظهر اختلاف في موقف الشقراني بين مقاومة بوعمامة ومقاومة الأمير عبد القادر حيث أنه لا يعترف بمقاومة الشيخ بوعمامة وفي المقابل يشيد بشخصية الأمير عبد القادر ومقاومته وقال أن قرار الأمير بوقف الحرب هو قرار صائب بتأثير الظروف الداخلية والخارجية، وفي السياق تحدّث عن المجاعات والأوبئة والفيضانات التي عرفتها المنطقة العربية وآثارها الإقتصادية والإجتماعية.

ج- قبائل الغرب:

بعد مقاومة الأمير عبد القادر ينتقل الشقراني إلى الحديث عن القبائل التي استقرت بالغرب الجزائري (الشقراني،2013: 48) مركّزا على وهران التي أشار إلى تأسيسها وتحصينها والولي الصالح

سيدي الهواري كما عرّج على الإحتلال الإسباني لوهران مشيدا بدور العثمانيين في مواجهة النصارى ووضع حد للأعمال التي قاموا بها، كما تحدّث عن دور اليهود الداعم للإسبان.

د - بلاد المغرب:

بعد حديثه عن وهران سينتقل الشقراني للحديث عن حدود الدول المغاربية الجزائر – تونس – لمغرب الأقصى وعواصمها وأهم الأنهار، ثم تحدّث أيضا عن تاريخ تلمسان وتأسيسها (الشقراني،2013: 72).

وفي الحديث تناول مواضيع متفرّقة كحديثه عن البارود والمنجنيق وذكر كسيلة وعقبة بن نافع ومسجده ليختتم مؤلفه بذكر أصل الفرنج و الإسبان وأصل التسمية (الشقراني،2013: 75).

4. إستعراض المشرفي والشقراني للقبائل المتعاونة مع الإسبان:

بالرجوع إلى المصدرين نلاحظ أن عبد القادر المشرفي قد خصّص حيزا مهما من مؤلفه بهجة الناظر للحديث على هذه القبائل حيث عرّفها بالتفصيل وذكر نسبها وحدود المجال الجغرافي الذي كانت تتوزّع فيه، بينما نجد في كتاب القول الأوسط أن الشقراني لم يخصّص لهذه القبائل حيزا خاصا بل ذكرها في سياق الحديث، حيث ذكر في البداية القبائل التي استوطنت بلاد المغرب عند حديثه عن الناحية الغربية (الشقراني،2013 : 48)`والقبيلتان هما مغراوة وبني يفرن وخصّ الحديث عنا في الفترة الوسيطية، ثم في إطار حديثه عن الإحتلال الإسباني لوهران ذكر القبائل التي تعاونت مع الإسبان، ويتحدّث بشكل مختصر عن الدور الذي قامت به هذه القبائل لدعم الإسبان (الشقراني،2013: 63).

بالإعتماد على المصدرين سنقدم عرضا عن القبائل المتعاونة مع الإسبان، حيث يبدأ المشرفي حديثه عن هذه القبائل بقوله:" ... إنحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم والعياذ بالله ...فكانوا لهم عليهم أعوانا... ولا محالة أن هؤلاء الأعراب يطلق عليهم العرب المتنصّرة والمتعلقة بالنصارى بلا شك ولا ارتياب" (المشرفي:2).

أما الشقراني فبدأ مباشرة بأن عدّد هذه القبائل بقوله:" حتى انحاش إليه كل رقيق وجاني مثل قيزة وشافع وغمرة وبني نزار وأولاد علي وكل من هو ضعيف الإيمان فصاروا شيعتهم وقويت بهم شوكتهم (الشقراني،2013: 63).

لقد كان للمؤلفين نفس الموقف من هذه القبائل، واختص بتقديم معلومات مفصّلة عن هذه القبائل والتي شملت:

4-1- كرشتل: ينسبون إلى جدّهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت،ابن منديل بن عبد الرحمن المغراوي، وهم فرقة في غاية الضعف يبلغون تسعون نوالة يمتهنون زراعة الخضر والتجارة، كانوا يقيمون عند مصب نهر الشلف بالبحر الرومي(البحر المتوسط) ثم انتقلوا إلى مزغران

غربي مستغانم (المشرفي: 12-14) ،وكانت لهم علاقة مباشرة مع الإسبان بنقل الأخبار وتغطيس الناس،وقد لقّبوا بالمغاطيس أو المغطّسون وعند الإسبان يعرفون ب(Mogtazes) ،ويقول المشرفي أنهم غطّسوا إمامهم الذي يصلي بهم بأن باعوه للإسبان على غفلة منه وعن كيفية التغطيس يقول أنهم كانوا يأتون بدوابهم بصفة بائعين للعطور للتجسّس وإذا وجدوا أخبار نقلوها إلى الأسبان كما كانوا يختطفون الصغار أو الكبار ويضعون الجلود على أفواههم حتى لا يتكلموا ويحملونهم على دوابهم ويمشون بهم ليلا لوهران أسفل خنق النطاح وكانت لهم زوارق يسافرون فيها وينقلون بها الخضر للإسبان (المشرفي:13-15).

لم يذكر الشقراني عن قبيلة كرشتل سوى أنهم جواسيس معروفين بالفاطيس يرصدوهم له في الأماكن (الشقراني،2013: 63).

4-2- شافع: لم يذكر الشقراني شيئا عن قبيلة شافع سوى الإسم ضمن القبائل المتعاونة مع الإسبان بينما فصّل المشرفي في الحديث عن هذه القبيلة حيث قال:" من جملة جند الإسبانيين الذين بوهران من الأعراب شافع" (المشرفي: 14) ،ثم ذكر نسبهم إلى شافع بن عامر بن زغبة الهلالي ولهم أربعة بطون شقارة، والمطارف، والصوالحية وأولاد بالغ، ويذكر المشرفي أن بني عامر يتفرعون إلى ثلاث بطون شافع، بنو يعقوب وهم 15 بطنا، وبنو حميد وهم 66 بطنا،ويقول أن أصل بني عامر من الطائف بجبل زغوان وتخالفوا مع القرامطة ثم انتقلوا مع بني سليم إلى مصر في عهد العبيديين ومنها إلى برقة وطرابلس سنة 443هـ واستولوا على إفريقية ثم استولوا على القيروان ومن بعدها على المهدية ثم انتقلوا إلى زناتة ثم نقلهم أبو موسى بن يوسف الزياني إلى تسالة وجبال هيدور ،ثم انتقلوا إلى ملاتة سنة 1160هـ..

كان شافع في عشرين دوارا وهم ذوي قوة كانوا جنود للإسبان يغيرون على السكان بشكل كبير حيث يقول المشرفي:" كانوا أهل نجدة وبأس جديد وقتال عتيد...فتقوى بهم الإسبانيون بغاية التمكين واشتدت شوكتهم على المسلمين واعتدوا بهم وصاروا مشتدين." (المشرفي: 26)

4-3- حميان: يقول عنهم عبد القادر المشرفي أنهم من الأعراب المتنصّرة (المشرفي: 26) وأنهم قبيلة عظيمة وهم ينسبون إلى جدهم حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى ابن زغبة الهلالي، وكانوا مكلّفين من زمن الموحدّين بالإتاوة على بعض المناطق (المشرفي: 27 -28) ،وحسب ما ذكره المشرفي فإنهم يزعمون أنهم من ذرية مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ونسبتهم باطلة (المشرفي: 27 -28) وقد كانت لهم رغبة شديدة في التنصّر حتى أن الداي إبراهيم باشا(1732 -1745) عندما حاصر وهران ونصب مدافعه لتحريرها لكنه تراجع،وكان الإسبان متحصنين بقلعة مرجاجو قدّم شيخ حميان الماء للإسبان عندما صعب عليهم (المشرفي: 27) وكان حميان 30 دوارا وكانت لهم بسالة عظيمة ومكيدة

شديدة في الحروب ،ويذكر المشرفي أنه يحكى أن شيخ حميان هو الذي دبّر على الإسبان في بناء برج مرجاجو لتحصين المدينة (المشرفي: 27) ،ولما أعجبوا برأيه خشوا من فتكه بهم وقالوا:
" المدبر لنا مدبر علينا"، فنووا الفتك به وشرعوا في بناء هذه القلعة وحفروا بقرب أساسها بئرا شديد العمق،وألقوه فيه (فكاير،2012: 347) .

4- 4- غمرة: هي قبيلة بربرية يزيد عددها عن ستة دواوير وينسبون إلى جدهم غمرة البربري،كانوا يقيمون في برقة ثم انتقلوا إلى المغرب الذي جالوا فيه إلى أن سكنوا بالحفرة وراء وهران مع حميان (المشرفي: 28).

يضيف المشرفي عن قبيلة غمرة أنهم أهل بأس شديد ورأي سديد...وقد نصروا الإسبان نصرة شديدة على المسلمين حتى كانوا لهم عضدا في كل شيء (المشرفي: 28).

4- 5- قيزة: من جملة الجند الإسبان بتعبير المشرفي ويقال لهم جيدزة وهم فرقة من بني عامر ينسبون إلى جدهم قيزة بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف ابن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي،وكانوا يقيمون قرب تارقة وبهم سمي الجبل الذي يقال له جبل قيزة وجيدزة (المشرفي: 28) .

كانوا أهل بأس شديد ولهم قوة وبطش وفتك بالمسلمين وقد نزع الله رحمته من قلوبهم ،وكان عددهم حوالي ثلاثة عشر دوارا وكانوا يسمون باللصوص، وكانت لهم رياسة عظيمة مع الإسبان ومحبة شديدة، وكانت لهم العديد من الغارات على المسلمين وسبي وفتك بالمؤمنين، وكان منهم المحنشون والمغطّسون والرفافصة والجند (المشرفي: 29) .

4-6- أولاد عبد الله: من الأعراب المنطمسة البصيرة والبصر، ينسبون إلى جدهم عبد الله بن سفير بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي (المشرفي: 29) ،كانوا يقيمون بوادي الثلاثاء من ملاتة، يبلغ عددهم ستون دوارا وقد تجوّلوا كثيرا وبطشوا كثيرا،وكانوا ينتهون للمطمر الأحمر بوادي مينا ،وقد كانوا أشد نصحا وإعانة للإسبان وفرحا باليهود، وقد تصاهروا مع اليهود والإسبان (المشرفي: 30).

لم تكن لهم غيرة على الإسلام ولا لهم محبة إلا في عبادة الأصنام، ومنهم الكافر أبو نصابية الذي قتل الفقيه باي مازونة شعبان الزناقي عند باب وهران سنة 1098هـ/ 1686م واجتز رأسه (المزاري: 230) .

4- 7- أولاد علي القبيل: من الأعراب المنطمسة البصائر وهم ينسبون إلى جدهم علي بن اعمر بن إبراهيم بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد بن عامر بن زغبة الهلالي (المشرفي: 31) ،مكان إقامتهم بلاد ماخوخ (فكاير،2012: 360)، وهم كثر كان عددهم يقارب السبعين دوارا، ولهم إذعان كبير للإسبانيين ومحبة لليهود،وقد غزوا الكرط وغيره

العديد من الممرات ومن بينهم الظالم الشديد رابح بن صولة وهو جبار عنيد وقد كان أشد بأسا على المسلمين وإعانة للإسبان قاتل المسلمين بالليل والنهار،إلى أن قتلته قبيلة الحشم (المشرفي: 34 - 36- 37)، وكان لأولاد علي ما يفوق مائتي فارس من الأعيان وغيرهم.

يقول المشرفي أن خيول بني عامر كانت تناهز العشرة آلاف فارسا فضلا عن المشاة وكانوا أهل عدد ونجدة وشدة ومع هذا إذا خرج إليهم النصارى في ثلاثمائة أو أربعمائة يلحق بهم الذل والإهانة وإذا أمرهم فعلوا وإذا نهى امتثلوا (المشرفي: 37) ،وقد كانوا يساعدون الغسبان ويقدمون لهم ما يحتاجونه من التبن والحشيش والحطب والسمن واللبن والعسل والضأن والماعز والبقر والخيل والإبل والبغال والحمير (المشرفي: 37).

4- 8- الونازرة: هم بطن من أولاد عبد الله ،ويقال لهم الونازرة نسبة إلى جدهم ونزار بن عبد الله بن سفير بن عامر الزغبي،وهم فرقة ذات بأس شديد وهم في نحو ستة دواوير عظام ،كانوا يقيمون بوادي سنان بنواحي عين تموشنت من مزارع أولاد خالفة الخارجين من أولاد الزاير عن سلسلة بني عامر ،ثم انتقلوا إلى نواحي تارقة وسكنوا مع قيزة ثم انتقلوا معهم إلى الجبل المطل على وهران من نواحي تمزوغة واستقروا بملاتة ،وكانوا أقل شجاعة وبسالة وعند مجيء الإسبان كانوا من جملة جنودهم المعتمدين عليهم فهم العيون والجيش فصار قيزة عند الإسبان لصوص والونازرة صاروا لهم زمالة (المشرفي: 35)، وكان لليهود عليهم صولة عظيمة لكون الجباية كانت على اليهود دون الإسبان، وكانت مساكن الونازرة بوهران بجبل هيدور وملاتة (المشرفي: 36).

بعد حديث المشرفي عن قبائل بني عامر المتعاونة مع الإسبان تحدث عن ترتيبهم لديهم حيث قال :" وللإسبانيين ترتيب في رعيتهم ليحصل التعاند لهم في خدمتهم وهوانهم" (المشرفي: 36) ،أي أنهم خلقوا تنافسا بين هذه القبائل فقد قدّموا الونازرة على قيزة ،وقيزة على حميان،وغمرة على حميان على شافع على كرشتل،وكرشتل على أولاد علي ،وأولاد علي على أولاد عبد الله وأولاد عبد الله على بني شقران وبني شقران على القلعية والقلعية على الحشم، بينما هبرة والبرجية ومجاهر وغيرهم من القبائل لم يدخلوا تحت طاعة الإسبان.

يشير عبد القادر المشرفي في حديثه عن القبائل المعادية للإسبان إلى حروب هبرة ضد الإسبان وسويد إلى أن تم القضاء على الإسبان لكن المشرفي لم يتوسّع أكثر.

5. دوافع تعاون قبائل بني عامر مع الإسبان:

من خلال التعرّف على مختلف القبائل المتعاونة مع الإسبان نتبيّن أن ضعف الإيمان والرغبة في السيطرة والطمع في الأموال كان وراء تعاون هذه القبائل مع الإسبان ونتبيّن ذلك من خلال ما ذكره كل من المشرفي والشقراني، ففي ذلك يقول المشرفي في بداية رسالته:" لم استقل قدم الإسبانيين بوهران وانحاز إليهم طوائف من الأعراب الذين ضعف إيمانهم والعياذ بالله من ذلك فصاورا خدمة

لهم ومن جملة جيشهم وكثر بهم السواد على المسلمين فكانوا لهم عليهم أعوانا وفي الدين الفاسد إخوانا وشنوا بهم الغارات وانتفعوا بهم فيما يحتاجونه من الدواب والأقوات وسبب ذلك الطمع في غرضهم الفاني الذي صير المسلم مجرما جاني لا محالة أن هؤلاء الأعراب يطلق عليهم إسم العرب المتنصّرة والمتعلقة بالنصارى بلا شك ولا ارتياب" (المشرفي: 12).

أما الشقراني فيقول في ذلك:"إنحاش إليه كل رقيق وجاني مثل قيزة وشافع وحميان وغمرة وبني ونزار وأولاد علي وكل من هو ضعيف الإيمان فصاروا شيعتهم وقويت بهم شوكتهم،فكانوا عيونه الذين يتطلّع بهم على عورات المسلمين وأعوانه الذين يشن بهم الغارات على الأبعدين ويقتحم حلل المسلمين ودورهم ،فيأخذ مالهم وينتهك حريمهم" (الشقراني،2013: 63).

من خلال ذلك يظهر أن دوافع تعاون هذه القبائل مع الإسبان هي ضعف الإيمان أولا ،يليها الطمع في الإمتيازات والنفوذ اللذين حققتهما هذه القبائل من خلال تعاونها مع الإسبان بالإضافة إلى الرشوة التي كانوا يحصلون عليها مقابل ما يقدمونه للإسبان ،وفي ذلك قال المشرفي:"إن قيزة صاروا عند الإسبانيين لصوصا والونازرة صاروا لهم زمالة" (المشرفي:20).

لقد كانت هذه القبائل تضمن بيع منتوجاتها للإسبان بسبب حاجتهم لها فحسب ما ذكره المشرفي فإنهم كانوا يساعدون الإسبان ويقدمون لهم ما يحتاجونه من الحشيش والتبن واللبن والعسل والضأن" (المشرفي: 37).

إلى جانب ما ذكره المشرفي والشقراني نضيف أيضا سيطرة الإسبان على منابع المياه ،حيث كان السكان يتزوّدون من منابع هذه المياه التي تقع غرب وهران (حساني،2009: 75)، وكذا موقع هذه القبائل في مناطق منبسطة لم تسمح لهم بالدفاع لعدم وجود حصانة طبيعية مما جعلها عرضة لهجمات الإسبان (فكاير،2012: 352).

6. الحكم الشرعي في القبائل المتعاونة مع الإسبان:

بعد الحديث عن تلك القبائل يتحدث المشرفي عن الحكم الشرعي الواجب تطبيقه على تلك القبائل الضالة حيث يقول :"والعجب العظيم أنهم مع هذا التلاعب بالأديان وموالاة الكافرين لهم بالخدمة والنصيحة والمبايعة لهم على الطاعة والإذعان والإعانة لهم في أمورهم وتقوية سوادهم والإستضاءة بنارهم وموادتهم لهم بالإحسان كانوا يعتقدون أنهم على الإسلام وصحيح الإيمان (المشرفي: 37).

اعتبر المشرفي بذلك هذه القبائل كافرة خارجة عن دين الإسلام وفي ذلك يقول:" وكيف يكون مسلما من لا غيرة له على المسلمين ولا همة عالية يأنف بها عن خدمة الكافرين ولا مبالاة له بدين الإسلام ولا يخشى ملامة على دينه من أهل الإسلام ولا مراقبة له لله تعالى في دينه القويم" (المشرفي:37). ومن ذلك يعتبر المشرفي هذه القبائل ضالة كافرة فاسقة لا مبالاة لها بدين الإسلام.

يذكّر المشرفي هذه القبائل بيوم الحساب وبعذاب القبر حيث يقول:" كيف يكون له الجواب لربه جل وعلا في يوم القيامة وكيف يكون حاله في قبره وقت الخصام...وكيف يكون إذا فتن في القبر ورجع ذليلا حقيرا " (المشرفي:38).

بدوره الشقراني اعتبر هذه القبائل كافرة فاسقة وفي ذلك يقول:" كانوا يعتقدون أنهم على صريح الإيمان وما هذا إلا تلاعب بالأديان وكيف يكون مسلما من لا غيرة له على الإسلام ولا همة يأنف بها عن خدمة الكافرين ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون" (الشقراني،2013: 63).

7. مصير القبائل المتعاونة مع الإسبان بعد فتح وهران:

قام الباي مصطفى بوشلاغم بمحاصرة وهران والمرسى الكبير سنة 1707م وأرسل له الداي محمد بكداش الإمدادات الضرورية حيث تحمّل هذا الداي مسؤولية طرد الإسبان من وهران والمرسى الكبير وتحريرهما من الإسبان بمساعدة صهره حسن أوزن(Bouruiba,1974.81) ،وقد نجح في دخول وهران والمرسى الكبير بعد حصار الباي مصطفى بوشلاغم لبرج العيون في 14 جوان 1707 وحصن الزاوي بن كبيسة اليهودي في6 نوفمبر 1707،وبعد دخول المدينة ساقوا معهم أكثر من 1400 إسباني إلى مدينة الجزائر وعملوا على نهب القبائل التي تعاونت مع الإسبان وأصبحوا موضع تجارة بامر من الداي محمد بكداش (عباد،2007: 151)وقد انضمت بعض قبائل بني عامر إلى صفوف الباي وتخلوا عن الإسبان وشاركوا في الدفاع عن وهران إلى أن تم فتحها ،ثم اتجهوا إلى برج المرسى الكبير الذي حوصر إلى أن تم فتحه أيضا.

عن حملة تحرير وهران سنة 1707م يقول المشرفي:" لما انعم الله تعالى بظهور نوره رغما على أنف الكافرين وإعلاء كلمته وكلمة دينه حتما على المعاندين والفاجرين... وصيّر فيها باشتها الشريف السيد ابا عبد الله محمد بكداش خوجة... في سنة ثماني عشرة ومئة وألف والحال أن باي الإيالة الغربية الجامع بين إيالة مازونة وتلمسان السيد مصطفى أبا الشلاغم كان رابطا على وهران ملازما لجهاد النصارى راميا فتحها وصابرا على بلايها فأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيش برا وبحرا ...واجتمع الجيش العظيم بساحتها" (المشرفي: 38).

أما عن القبائل التي كانت متعاونة مع الإسبان فقد حدّد المشرفي مصيرها والحكم الشرعي لكل فرقة منها ،حيث يقول أنهم انقسموا إلى ثلاث فرق ،فرقة منهم لجأت لحصون العدو وصارت تقاتل معه وتدافع بجهدها عنه والحكم في هذه الفرقة إباحة مالها ودم رجالها والبالغين من ذراريها لمن ظفر بهم من المسلمين لكونها ردا وأما الصغار من الأولاد فلا يقتلون ولا يكونون فيأ للمسلمين ،وقد ذهب بعض الونازرة مع الإسبانيين بعد الفتح لعدوتهم واستقر بسبتة ،وفرقة منهم لجأت للمسلمين وصارت تقاتل معهم العدو ،غير أنها في الخفية تعلم العدو بأحوال المسلمين وتامره بالثبات وتواعده بالرجوع

عنده إذا وجدت السبيل والحكم فيها أنها فرقة الزنادقة يقتل كل من إطلع عليه منها...،وفرقة منهم تابت إلى الله تعالى وأنابت من موالاة العدو ومواصلاته وتركت الإعانة له ظاهرا وباطنا وندمت على ما صدر منا سابقا والحكم فيها أنها واحدة من جماعة المسلمين كثّر الله عدد جيش الإسلام إن لم يتقدم منها ما يبيح الدم" (المشرفي: 39 - 40).

يقول المشرفي أن هذا التفصيل هو المعوّل عليه في الشرع لأنه عين النازلة ولا نلتفت لمن عمّم وقال بإباحة المال والدم في الجميع (المشرفي: 40).

استعرض المشرفي مراحل الفتح وقسّم القبائل إلى ثلاث مجموعات وأصدر الحكم الشرعي عليها دون التعميم عليهم، و في المقابل لم يذكر الشقراني مصير هذه القبائل بعد الفتح بل استعرض مراحل فتح وهران سنة 1707 دون الإشارة إلى هذه القبائل.

من المصادر التي تحدثت عن القبائل المتعاونة مع الإسبان الآغا بن عودة المزاري حيث لا يختلف في موقفه عن المشرفي والشقراني، ففي حديثه عن حملة الباي شعبان سنة 1686 على وهران يقول:"...زحف النصارى مع مردة العرب وشياطينهم من بني عامر وقيزة وغمرة وكريشتل وغيرهم في أزيدمن ثلاثة آلافهم ألف خيل والباقي راجلة..." (المزاري،1990: 229).

عن قتل الباي شعبان يقول :" يقال أن الذي قتله هو أحد المغطسين أبو نصابية من النصاصيب الذين منهم كل ظالم وفاجر أحد بطون أولاد عبد الله من بطون بني عامر" (المزاري، 1990: 230).

8. خاتمة:

يعتبر هذان المصدران مهمان بحق لما يقدّماه من معلومات قيّمة حيث تكمن أهمية مصدر بهجة الناظر فيما يحويه من معطيات حول الإحتلال الإسباني وحول القبائل المقيمة ببايلك الغرب من حيث أصولها ومناطق تواجدها وموقفها تجاه الإحتلال الإسباني ،ولولا وجود هذه القبائل ودعمها للإسبان لما تمكنوا من البقاء في وهران كل هذه الفترة حيث كانوا عيونا لهم وجواسيس يقّدمون المعلومات التي ساعدتهم على البقاء والإستمرار في الإحتلال.

أما كتاب الشقرني القول الأوسط فهو أيضا من المصادر الهامة التي تقدم معلومات هامة حول تاريخ الجزائر والتي تميّزت بالتنوع خاصة ما ارتبط منها بالفترة العثمانية أو بالوجود الإستعماري الفرنسي في الجزائر خاصة في القطاع الوهراني والمقاومات الشعبية ،ورغم أنه لم يتصّف بالموضوعية بشكل كبير خاصة فيما تعلق بمقاومة الشيخ بوعمامة إلا أن هذا المصدر يضيف الكثير من المعلومات حول الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على السكان إقتصاديا وإجتماعيا ،وعن أحداث مهمة تعود إلى الفترة الأولى للإحتلال ومما يزيد في قيمة الكتاب أسلوب الشقراني في الإعتماد على مصادر مهمة، كما يبرز لنا ثقافته الواسعة واطلاعه على مختلف المجالات الأدبية والتاريخية، والدينية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

1- أبي راس الناصري، **فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته**، (تحقيق وضبط وتعليق محمد بن عبد الكريم)، (1986)،الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.

2- أحمد بن عبد الرحمن، الشقراني الراشدي، **القول الأوسط في أخبار في بعض من حل بالمغرب الأوسط** ،(تحقيق وتقديم :ناصر الدين سعيدوني)،(2013)،الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع.

3- بلقاسم،ميسوم،**"قراءة في كتاب القول الأوسط في من حل بالمغرب الأوسط لمحققه ناصر الدين سعيدوني"** كتاب جماعي بعنوان" المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر"،(2014) منشورات مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية،جامعة معسكر،الجزائر:مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.

4- بن عودة، المزاري، .**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،(تحقيق ودراسة يحي بوعزيز)،(1990):دار الغرب الإسلامي،ج 1.

5- فوزية، لزغم فوزية،**البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي 1520 -1830** ،أطروحة دكتوراه،جامعة وهران،2013- 2014.

6- صالح، عباد،**الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830** ،(2007)،ط2 ،الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.

7- عادل ،نويهض ، **معجم أعلام الجزائر** ،(1980) ،بيروت:مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

8- عبد الحي بن عبد الكبير، الكتاني،**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**،(1982)، ط2،ج2،بيروت:دار الغرب الإسلامي .

9- عبد القادر، فكاير ،**الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (1505 - 1792)**،(2012)،الجزائر:دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع .

10- عبد القادر، المشرفي ، **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر**، (تحقيق وتقديم: محمد عبد الكريم)،لبنان: دار مكتبة الحياة .

11- محمد بن يوسف، الزياني،**دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**،(تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي)،(2013)،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،

12- يحي، بوعزيز،**موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، (2009) ،ج1الجزائر:دار الهدى.

2- باللغة الفرنسية:

13- Rachid Bouruiba, **Oran histoire politique**, SNED, Alger, 1974.